

العبادة.. صراط السعادة



«إنَّ السعادة الحسية لا تكتمل إلا إذا جعلها الإنسان في الخط الإلهي وإلا تحولت اللذة إلى ألم وشقاء. وكذلك الحال بالنسبة للسعادة المعنوية، فإنها إذا ابتعدت عن خط الله تحول إلى الطمع والطمغيان والجبروت. وما الجبارة والظالمين والطمغاة إلا أولئك الطالبين للذة المعنوية بالحصول على المجد والسلطة والجبروت، والتي لا تجر على الإنسان وعلى مجتمعه إلا الشقاء والويل. لذا فإنَّ الضابط الأساس للسعادة الحسية والمعنوية هو الشرع الإلهي الحنيف، وخير موعين على الالتزام بهذا الشرع هو العبادة التي فرضها الله سبحانه وتعالى على الناس لتكون لهم حياة. "يا مولاي، بذكرك عاش قلبي، وبمناجاتك بردت ألم الخوف عني". علاقة العبادة بالسعادة: والسعادة في تمامها تتحقق في العبادة، والعبادة يجب أن لا تكون مجرد حركات جسدية ظاهرية. العبادة يجب أن تكون إقراراً قلبياً وحركة وجدانية. فالعلماء الروحانيون يعرفون العبادة: بأنها التسليم المطلق والخضوع الكلي والاستسلام التام. بمعنى أن الإنسان يجب أن يستشعر هذه الحالة عندما يصل إلى محراب العبادة فيشعر بالاستسلام التام بين يدي الله سبحانه وتعالى بحيث يوجه تركيزه المعنوي، بوصلته القلبية ووجدانه، في اتجاه القبلة، في اتجاه واحد وحركة شمولية واحدة لا متعددة. وفي هذا السياق ينبغي التركيز على نوعين من العبادة: 1- العبادة الظاهرية، وهي تُعنى بالشكل الظاهر للعبادة مثل الغسل والمسح في الوضوء، والركوع والسجود في الصلاة، والإحرام والطواف والسعي والرمي، في الحج، وما إلى ذلك. 2- العبادة الباطنية، وهي تُعنى باستحضار

المضامين والأبعاد المعنوية للعبادات، والأحاديث كثيرة التي تتحدث عن مضامين وأبعاد معنوية للصلاة والصيام وسائر العبادات. والعبادة الظاهرية وإن كانت ضرورية من مقدمات العبادة الباطنية، ولا تصح العبادة بدونها، إلا أنها إذا لم تقترن بالمضامين المعنوية للعبادة الباطنية، فإنها لا تؤتي ثمارها. فما لم يستشعر العابد بأزّه مسافر بقلبه إلى الله لن يستشعر - على سبيل المثال - بأزّه انتقل إلى محطة لتعبئة الوقود الوجداني والعاطفي الذي يعينه على الثبات على الصراط، وعلى الخط المستقيم. لذا ينبغي للإنسان إذا أراد أن يستشعر لذة في العبادة أن يلتفت إلى كمال العبادة. وكمال العبادة ليس في الحركات الجسدية فقط. فهناك مضامين وأبعاد معنوية ونفسية عميقة للعبادات حيث تترك إحياءات كبيرة جداً على الإنسان ينبغي أن نستوعبها. لذلك دعونا نسأل أنفسنا التالي:

لماذا سن الله سبحانه وتعالى الوضوء في مواضع محددة دون غيرها كالوجه واليد والرأس والرجل؟ لماذا يوجد الركوع في الصلاة؟ لماذا نسجد؟ ما الفرق بين الإقامة والآذان في الصلاة وما معنى تكبيرة الإحرام؟ لماذا يستحب عند الآذان النظر نظرة مستقيمة للأمام وعند الإقامة النظر إلى الأسفل إلى الصدر؟ لذلك علينا أن ندرك هذه الأمور وغيرها الكثير من المعاني الباطنية للعبادات إذا أردنا أن نصل إلى السعادة المعنوية المرتبطة بالعبادة. الأبعاد الباطنية للوضوء: رَوَى الشيخ الصدوق في كتاب: "من لا يحضره الفقيه"، قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (ص) فسألوه عن مسائل، فكان فيما سألوه: أخبرنا يا محمد لأي عِلَّة توضع هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟ قال النبي (ص): "لما أن وسوس الشيطان إلى آدم (ع) دنا من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه، ثم قام مشى إليها وهي أول قدم مشت إلى الخبيثة، ثم تناول بيده منها ما عليها، فأكل فطار رأسه وبكى، فلما تاب إلى الله - عز وجل - عليه فرض الله عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الأربع، فأمر الله - عز وجل - بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة، وأمر بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما، وأمر بمسح الرأس لما وضع يده على أم رأسه، وأمر بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخبيثة". ولذلك شرع الله سبحانه لنا الوضوء لأننا من ذرية أبينا آدم (ع). وقد ورثنا التجارب والقابليات والميول والأمزجة التي كانت تختلج وتعيش في قلبه، فأدم رفع يده للفتاحة، آدم نكس رأسه، آدم مشى بقدميه إلى الشجرة، فإذا أدركنا أن الوضوء شرع لهذه الأسباب فسوف نتوضأ الوضوء الحقيقي وسوف نصل إلى السعادة من الوضوء. مثل الإنسان الذي تطهر ويشعر بأزّه لم يتخلص من الجرائم الظاهرية فقط، بل تخلص من الجرائم المعنوية التي تعيش في يده، وعلى الإنسان أن يتضرر لكل معصية ارتكبها بيده وكل معصية ارتكبها بعينه، وكل خطوة مشى بقدميه فيها إلى الشيطان أو إلى الملذات أو إلى الهوى، علينا أن نعيش هذه الحالة إذا أردنا للوضوء أن يترك حالة معنوية تجلب السعادة.

الأبعاد الباطنية للصلاة: أما الصلاة، فما أعظم أسرارها! وما أكثر الأنس الذي يعتمر قلوب من أدرك حقيقتها! فالصلاة لها لذة - بكل معنى الكلمة - لمن أقبل على وجهه، ربما يخطئ الإنسان في الصلاة فيستغرق في التأمل باللذات الحسية ويقبل على وجه الحور العين فتُنسب عبادته إلى عبادة التجار. والمفروض أن يقبل على وجهه وليس على اللذات النفسانية وإن كانت مشروعة وهي نتائج طبيعية للسلوك الحسن في الآخرة ولكن على الإنسان أن يعيش الإقبال على وجهه فقط. الآذان والإقامة: كذلك يجب أن يلتفت العابد إلى الفرق بين الآذان والإقامة؟ الآذان هو: الخطاب الظاهري للجوارح والخطاب الظاهري للناس. الخطاب: (الأكبر) المذكور للجوارح الخارجية ولمن يسمع بأذنية ويرى بعينه، ولذلك يستحب أن يكون الوجه منصوباً. أما الإقامة: فهي الخطاب الموجه للقلب والجوارح. وفي "الآداب المعنوية للصلاة": "الآذان هو الخطاب للجوارح وأما الإقامة فهي الخطاب إلى الجوانح" فينبغي أن ندرك أن الإقامة هي الخطاب للقلب: يا قلب، أكبر، أكبر، أكبر من كل شيء، يا قلب أنت مقبل الآن على وجهه فاستعد. وعلى سبيل المثال تصوروا لو أن إنساناً لديه موعد مع صاحب شركة أو مديرها لنيل وظيفة ما في هذه الشركة، فمن الطبيعي له قبل أن يقبل على هذه المقابلة، أن يتهيأ ويستعد، أن يتزين وأن يتعطر، والإقامة كذلك هي تلقين القلب: يا قلب أنت مقبل على الحبيب، أنت مقبل على جلاله الملك، أنت مقبل على السلطان، فهذه التهيئة ضرورية ليكون القلب مستعداً لهذا اللقاء. فإذا لَقَّنا القلب من خلال الإقامة التلقين المبارك (الأكبر) أدركنا معنى أكبر التي سنسأل عنها في يوم القيامة يوم يأتي الملك ويسأل لماذا قلت أكبر في صلاتك وكان الهوى أكبر، وكان الجاه أكبر، وكانت الأموال أكبر، وكان السلطان أكبر، وكان النظام العالمي أكبر؟ لماذا لم يكن أكبر؟ هذا السؤال الذي سوف نسأل عنه في ذلك اليوم، فعلينا أن نلقن القلب، فإذا لَقَّنا القلب بأن أكبر، وأقبل هذا القلب على الله وسوف يبتهج عندما يصلي وسوف يشعر بالسعادة المعنوية عندما يصلي، أما إذا لم نلقن القلب فلا قيمة معنوية لصلواتنا. الصلاة ليست مجرد حركات ظاهرية فقط، ولكن المسألة أن نصل إلى اتصال القلوب بالله، أن نصل إلى لب الوصال مع الله، أن نستشعر بأن قلوبنا محكومة ومقبوضة في يده. أن نصل إلى حالة التبرم والضيق الشديد عند الابتعاد عن الله "وهيتم قلبه لإرادتك" الهيام هو العطش الشديد للإبل لأن القلب أصبح مرتبطاً بالله ويهيم بحبه. الدعاء لب العباد، سواء كانت العبادة صلاة أو صوماً أو حجاً أو زكاة أو أي شيء آخر فإن مسك الختام في العبادة هو الدعاء والمناجاة. وإن كانت ترمي إلى الجزاء الأخروي إلا أن سعادة الطلب من الله والخلوة به في النهار وفي الليل مما يجلب السعادة المعنوية التي لا تضاهيها سعادة. نقرأ في مناجاة الزاهدين للإمام زين العابدين (ع): "وَإِغْرَسْ فِي أَفْئِدَتِنَا أَشْجَارَ مَحَبِّتِكَ" فعلينا أن ندرك هذه الأسرار في

الدعاء إذا أردنا أن نستشعر هذه اللذة. وإذا أردنا أن ننقطع عن الشواغل الحسية لكي تتولد السعادة المعنوية في قلوبنا. وإذا كبرنا، أتعرفون ماذا تعني هذه التكبير؟ لماذا نرفع يدينا إلى قرب الأذنين؟ ونقول للدنيا يا دنيا ابحتي عن بديل لك، نحن الآن مقبلون على وجه الله، كأننا نرمي الدنيا وراء ظهورنا لنقبل على الحبيب لنأنس بالحبيب ولننتظر إشارة من الحبيب لنكون كما يريد ولنبتهج بلقاء الله لنأنس بدمعة صادقة تهطل على الوجنة ونحن نصلي لتحفر على خدودنا: أحبك يا الله. هذه هي الغاية وهذا هو السر في الوصول إلى السعادة المعنوية من الصلاة، والسعادة المعنوية من العبادة فالإنسان عندما يركز فقط على العبادة الظاهرية لا يعرف هذه السعادة. ويكون قلبه ميتاً وقلبه متصحراً بعيداً عن الذكر فربما يذكر الله لساناً ولكن لا يذكر الله قلباً وعقلاً. المسألة ليست في الذكر اللساني، المسألة في الذكر الوجداني والقلبي والحسي أن يكون الوجود كله لله. الإمام زين العابدين (ع) يقول في دعاء أبي حمزة الثمالي: "يا مولاي بذكرك عاش قلبي" فالإنسان الذي يريد أن يستشعر السعادة عليه أن يبعث الحياة في قلبه ليكون مصداقاً للآية الكريمة: (أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَأَجْعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النُّورِ) (الأنعام/ 122). أما القلب المتصحرو القلب الذي يعاني من الجفاف الشديد والقلب الغافي الذي لا يبكي حتى على أبي عبد الله الحسين (ع)، هذا القلب بحاجة إلى صلاة استسقاء معنوية كي يُنزل الله سبحانه وتعالى عليه محبته ويروي هذا القلب بينابيع الخشوع ويروي هذا القلب بأفهام المحبة له سبحانه. "يا مولاي بذكرك عاش قلبي وبمناجاتك برّدت ألم الخوف عني" عندما نتعامل مع المناجاة يجب أن ندرك بأن المناجاة علاج قلبي ويجب أن يحاسب الإنسان نفسه ويرى حصيلة الحساب في نهاية اليوم: هل يعيش الافتقار أو يشعر بالافتقار؟ فليقرأ مناجاة المفتقرين وإذا كان يريد أن يتعرف إلى قيمة ذكر الله فليرجع إلى مناجاة الذاكرين ويتعامل مع المناجاة كأنها وصفة قلبية. علاقة اللذة العبادية بالسعادة: في بعض الأحيان يصلي الإنسان يصوم ويزكي ويجاهد ولكن لا يستشعر لذة في عبادته فهل في عبادته خلل؟ قد تكون العبادة التي ليس فيها لذة أقرب إلى الله من التي فيها لذة، نحن يجب أن نطلب الله ولا ننشغل بلذة الوصال مع الله. وفي بعض أدعية أهل البيت تذكر *جُبُّ النور* وهي أعمال حسنة وإيجابية، ولكنها تحجب الإنسان عن النور. أما *جُبُّ الضلال* فهي تبعات المعاصي والظلمات. فعلى الإنسان أن يدرك بأن المطلوب منه أن يخترق حجب النور ليصل إلى المُنْزَوَّرَ وليصل إلى الله، فاللذة في ذاتها ليست مطلوبة، فهي نتيجة حتمية لمن يُقبل على وجه الله. ولكن في بعض الأحيان قد يحدث هناك تضارب في المصالح الدينية. قد يكون تكليفي الشرعي أن آخذ رجلاً مصاباً في حادث مروى إلى المستشفى ولا توجد لذة في هذا العمل، وفي المقابل إذا أخذته إلى المستشفى لن أصل إلى المسجد ولن أحضر وقت الدعاء والمناجاة مع

□، فاللذة المعنوية هي في الذهاب إلى المسجد، ولكن تكليفي الشرعي هو في أخذ هذا الجريح من الشارع إلى قسم الطوارئ بالمستشفى. فعلياً أن ندرك أن اللذة لا تُطْلَبُ في ذاتها. حيث أن السعادة هي النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة ويجب أن لا نحصر معنى السعادة باللذة. اللذة هي من تبعات السعادة، ولكن في بعض الأحيان العبادة ليس فيها لذة. وهذا لا يعني بأن لا أقبل على العبادة فقد تكون هذه العبادة أقرب إلى □ من تلك العبادة التي أجد فيها الأُنس. العبادة التي ليس بها لذة يكون فيها اضمحلال للذات ويكون فيها انتهاء للأنس وفناء للكُل. بها ذوبان □ "اعبدوا □ لأنّه أهل للعبادة". أمّا تلك العبادة التي أقدم عليها بسبب اللذة فأنا كذلك أريد أن أستمتع في العبادة ويجب أن يكون الاستمتاع واللذة والسعادة المعنوية نتائج حتمية للإقبال على وجه □ فالإنسان يقبل على وجه □. وإذا أُنزلت عليه السكينة وإذا أُنزلت عليه السعادة وإذا أُنزل عليه الذكر وإذا أُنزلت عليه محبة □ فهو في فضل من عند □ سبحانه وتعالى. فيجب أن يُقْبَلَ على وجه □ بغض النظر عن اللذة. طبعاً هناك مذهب اللذة وهو مذهب فلسفي غربي وهو قائم على اللذة الحسية كغاية للحصول على السعادة. بينما نحن عندما نتعاطى مع السعادة المعنوية وبالذات في الأمور التعبدية لا يجب أن نركز على اللذة لأنّ اللذة نتيجة وليست غاية، فلا تحولوا النتيجة إلى غاية. الأُنس في العبادة: الآن نفق عند ثلاثة فقرات أو محطات فيما يتعلق بالعبادة والطريق للأُنس في العبادة في مناخات المريدين للإمام زين العابدين (ع): المقطع الأول: "وَمَلَأَتْ لَهُمُ ضَمَائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ". فالضمير الذي يعيش حب □ والأُنس بطلب ما يريد □ واللذة في قضاء الوقت مع □ وتذكر □ وخوف □ ومراعاة أوامر □ ونواهيهِ، هذا الضمير من الطبيعي أن يتجسد بالصورة المطلوبة. السلوك ما هو إلا حركة خارجية للأفكار والمعتقدات والرغبات والميول والأمزجة والانفعالات ولكل ما يحويه النظام الباطني للإنسان. فإذا أردنا تغيير السلوك فلنغير الباطن وتلقائياً يتغير الظاهر. فالسلوك ترجمة خارجية وليس باطنية وإذا وصل الضمير إلى مرتبة الهيام بحب □ فمن الطبيعي للجوارح الخارجية أن تسعى إلى مواطن عبادة □. نقرأ في دعاء كميل "وعلى جوارحِ سَعَتٍ إلى أوْطَانِ تَعَبٍ دِكِّ طَائِعَةٍ"، الجوارح ناتج الإرادة، لأنّ الضمير يعيش حب □ والقلب كله يعيش حب □، فمن الطبيعي للسلوك الخارجي أن يعكس باطن الإنسان والباطن يتمظهر بالظاهر، هذه قاعدة فإذا كان الإنسان باطنه كله حب وكله مراقبة □ فمن الطبيعي أن يعكس السلوك الخارجي هذه الحالة، وكذلك الظاهر يتبطن، فالمسلمة تقول أنا أحب □ ولكن لا أرتدي الحجاب فمن الطبيعي لهذا الظاهر أن يترك الأثر السلبي في الداخل، وإنسان يقول أنا أحب □ ولكنني سوف أرتدي هذه الملابس الشاذة عن المألوف، وسوف أعيش هذه الحالة، هذا الظاهر يتبطن، ومن الطبيعي أن يترك أثراً بالغاً على الشخصية. المقطع

الثاني: "فَبِكَـ إِلَى لَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ وَصَلَاوَا". ا سبحانه وتعالى يهدي الإنسان بنور الاستبصار. والإنسان تارة يهتدي إلى طريق ا بالآثار الخارجية، وتارة يهتدي بمراقبة ا وبرؤية ا برؤية الرقابة الإلهية عليه، كما تجلت في دعاء الإمام الحسين (ع) في يوم عرفة "عَمِيَّتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا رَقِيْبًا". فالعين بلا شك ليست العين البصرية، بل العين هي العين الصدرية الصادرة من القلب والفؤاد المليء بحب ا. لا يستطيع أحد أن يصف لذة المناجاة إلا من تذوّق المناجاة. فبادروا إلى المناجاة. إلى الجلوس في لحظات الخلوة مع ا، وابتحوا عن اللحظات التي تسافر فيها قلوبكم إلى ا. وابتحوا عن اللحظات التي بها لذة لا يستسيغها أهل الدنيا بل تناسب أولئك الذين ارتبطوا بنافخ الروح فارتبطوا با سبحانه وتعالى. المقطع الثالث: "فَيَا مَنْ هُوَ عَلَى الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مُقْبِلٌ" أقبِلْ عَلَى ا وهو سوف يقبل عليك. قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ) (البقرة/ 186)، و ا أقرب إليك من حبل الوريد ولكن أنت تغفل. والإنسان بدون منبهات حسية يغفل. وقد تجلس مع أحد أصدقائك ولكنه قد يدخل في عالم تصوري وخيال ذهني، بحيث يغفل عن وجودك لأنّه دخل في عالم آخر. متى ما عشت حالة الذكر الدائم فلن تغفل عن ا وسوف يكون ا موجوداً معك والنتيجة الحتمية هي (فَإِذْ كُرُرُونِي أَذْكَرُكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (البقرة/ 152)، أنت أقبِلْ و ا سوف يُقبِلْ عليك فهو أكرم الأكرمين، ولكن أقبِلْ لكي ترى كيف تتلذذ بلذيد مناجاته، وكيف تأنس بجواره وكيف تسعد بأنك مع ا. المعية مع ا تجسد في القرآن في نوعين من المعية: المعية الرقابية وهي عندما يقول ا: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد/ 4)، وهي المعية التي بها يراقب ا عباده، أنت راقب ا واعلم بأن عين ا تراك، أعلم بأن كل شيء مكتوب ومحسوب، و ا يراقبك. المعية التحميدية وهي قوله (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ 249)، مع المجاهدين مع المؤمنين هذه المعية التحميدية فإذا أردت أن تصل إلى السعادة المعنوية إبدأ بمع الرقابية، ولذلك تقرأ في كل يوم في صلاتك (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة/ 5)، الإستعانة تأتي بعد العبادة، باشر بالعبادة ومن بعدها تستطيع أن تأنس با وتطلب الإعانة منه في الوصول إلى بيت ا والوصول إلى حرم ا واستشعار الوجود في حضرة ا. من المؤسف أن البعض يقول: إذا ذهبت إلى صلاة الجماعة أو الحج أستشعر حالة القرب من ا بينما عندما أكون لوحدي لا أستشعرها. هنا يوجد خلل، لأن طبيعة هذا الإنسان أنّه يتحفز في تأدية العبادة الجماعية، الكل يتحفز في هيجان جمعي كما في أيام عاشوراء فيندفع وينهض ويتحرك لخدمة أبي عبدا الحسين (ع) ولكن في اليوم الحادي عشر والثاني عشر أين من يدعو إلى الإسلام؟ أين من يحملون رسالة أبي عبدا الحسين إلى البشرية؟ الإثارة كانت لحظية والإشارة كانت حسية، كما

بيّنا بسبب التحرك الجماعي. المطلوب من الإنسان أن يصل إلى العبادة الخفية كما يصل إلى العبادة الظاهرية. العبادة توصل إلى الله: العبادة وسيلة اتصال بمصدر الطمأنينة والأنس والسعادة الأبدية. وفي العبادة تمام الخضوع للمحبوب ومناجاة للفؤاد له وحديث القلب إليه. ولذا، فإنّ لحظات العبادة تُعد من أسعد اللحظات للعابدين الذين يتذوقون طعم العبادة الحقيقية. وهناك سعادة جلية في جميع العبادات التي تؤدي لوجه الله تعالى، شريطة أن يقصد الإنسان فعلاً وجه الله ولا يقصد الحور العين أو فواكه الجنة، إنما تكون عبادته خالصة لوجه الله خالصة من المطماع النفسانية وإن كانت مباحة. والله سبحانه يعلم صدق النوايا وما تخفي الصدور، ولذا لا نستطيع أن نتصور أي إنسان متجهماً إلى بابه يعود بالخيبة أبداً. ولكن على الإنسان ألا يربط عباداته بالسعادة أو باللذة التي يحصل عليها منها، فأحياناً قد تؤدي العبادة وأنت في حالة قبض روحي، أي في وقت تعيش فيه ضيق الصدر وثقل العبادة. فتُطلق حكماً مستعجلاً بأنّ الصلاة غير مقبولة إلا أن هذه الصلاة الخالية من جميع الأذواق المادية والمعنوية قد تنال درجة رفيعة في بنك الأعمال بحيث يفوق أجرها الصلاة التي صليتها وأنت مقبل وتعيش البسط الروحي. السبب الحقيقي للعبادة والدافع الأساس لها هو أنّها أمر الله تعالى، أي أننا نؤدي فروض العبادة لأنّ الله تعالى أمرنا بها، والسعادة والأنس المتحصل من العبادة هو فيض إلهي ينزله في قلب من يشاء ومن يحب. والحق أنّ العبادة تشبه من يطرق الباب، فإذا كان الطرق ضعيفاً فإنّهُ يُؤمّل أن يصل صوته إلى من خلف الباب ثم ما يلبث أن يُفْتَح الباب، فكيف إذا كان المقصود هو الله والذي لا تخفى عليه خافية ولا يضيع مثقال ذرة، لذا، قيل، إنّ الإلحاح في الطلب لا يلبث أن يدرك الإجابة وجاء في الدعاء عن الإمام زين العابدين (ع): "فَوَ عَزَّ تَرَكَ يَا سَيِّدِي لَوَ انْتَهَرْتُ تَنَدِي مَا بَرَحْتُ مِنْ بَابِكَ وَلَا كَرَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ". إنّ على الإنسان أن يؤدي صلاته حتى وهو في حالة انقباض روحي، أي وهو محروم من جميع الفيوضات المادية والمعنوية. حتى أنّ بكاء الإنسان وأنيته كما يمكن أن يكون وسيلة للفيض والبركة، قد يكون أحياناً وسيلة للابتلاء والامتحان. فلا يمكن إعطاء حكم قاطع في هذا الخصوص. العبادة الخفية: من الطبيعي لأجواء العبادة الجماعية أن تحفز المؤمنين على العبادة وعلى التمنّج الجمعي بنموذج واحد في العبادة. فنلاحظ أنّ البعض أثناء موسم الحج، أثناء صلاة الجماعة وغيرها من مواطن العبادة الجماعية يعيش التحفز الذاتي للقيام بين يدي الله، ولكن هذه الحالة سرعان ما تزول إذا خلا لوحده في العبادة. وهذا مؤشر على أنّ هذا الإنسان لم يتذوق حلاوة العبادة ولم يستشعر السعادة المترتبة على العبادة. والعبادة الخفية هي التي تتجلى في كلام الإمام السجاد (ع) عندما يقول في مناجاة الذاكرين "إلهي فألهما ذكرك في الخلاء" عندما تجلس في الخلاء، اذكر الله وارتبط بالله. وإذا أردت أن تعرف بأنك قريب من الله فانظر

إلى لحظات الخلوة، هل تتذكر اﻻ أم هل تبحث عن قنوات الشيطان، وتبحث عن مواطن الرذيلة لا مواقف الفضيلة؟ الإنسان المؤمن هو الذي يعيش الذكر الدائم ويعيش العبادة الخفية ويعيش الذكر الحسي والعقلي ليأنس بالسعادة المعنوية، ولكي تترتب على العبادة آثارها الإيجابية، وهذا هو الذي يحفز زينب (ع) للصلاة يومياً بالصلاة الكاملة والتامة، بل ينقل أرباب المقاتل عن الإمام زين العابدين (ع) أن زينب (ع) لم تصلِّ من جلوس إلا في ليلة الحادي عشر، إذ كانت دائماً قائمة وكانت دائماً تلتذ بالصلاة وكانت دائماً تنظر إلى وجه اﻻ، ولذلك فإن طريق أبي عبداﻻ الحسين الذي واجه التحديات وهزمها ليصارع الحياة وليصنع الحضارة الإنسانية. هذه الحضارة الإنسانية التي كانت تتجلى في صبر أبي عبداﻻ وصموده عندما تنزلت عليه المحن "هوَّ نَ عليَّ ما نزل بين أنزّه بعين اﻻ" ما دمت ترى يا اﻻ فخذ حتى ترضى عني. أنا أريد أن أبرهن عن حبي لك، أنا خادم لك فاستخدمني في طاعتك. لذا نقرأ في مناجاة الذاكرين للإمام زين العابدين (ع): "إلهي فألهمنا ذكرك في الخلاء والملاء.. وآنسنا بالذكر الخفي". الذكر الخفي هو التذكر الدائم اﻻ وأن نذكر اﻻ بقلوبنا وليس بألسنتنا فقط. هو أن يكون اﻻ حاضراً في قلوبنا ونعيش الأانس معه سواء كنا بين ألوف في مسجد أو لوحدا في زنزانة. الذكر الخفي هو أن يكون اﻻ في قلوبنا وعقولنا وأهدافنا ومشاريعنا وآمالنا وطموحاتنا. فيا إلهي ويا سيدي ويا مولاي ويا مؤملي ويا منتهي سؤلي قلبي تَمَحَّر ولن يُسقى إلا بحبك فوفقني لعبادة تروي صدري بينابيع الخشوع كي أعيش سعادة ولذة مكنتها لصالح عبادك وبريتك.► المصدر: كتاب صناعة السعادة